

دفاعاً عن الإسلام الذي أسيء فهمه محمد ناصر في عيون العالم الإسلامي وزعمائه

الأستاذ ناصر يوسف*

أ.د. سوهرين محمد صالحين*



ملخص البحث

يستعرض هذا البحث مواقف محمد ناصر الدينية تجاه ما يحاك للإسلام بخاصة والعالم الإسلامي بعامة من مكائد وما يطاله من تشويه؛ حيثباتت الدوائر السياسية والفكرية العالمية المعادية للإسلام تسهم في توسيع دائرة الخلاف غير المبرر بين الإسلام والغرب. إذ نلفي في هذا البحث أن مكانة محمد ناصر بوصفه رئيس وزراء إندونيسيا في أربعينيات القرن الماضي، لم تقف عائقاً أمامه للدفاع عن الإسلام في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية. لقد وظّف محمد ناصر مكانته العالمية في الدفاع عن الإسلام العالمي، وتفنيد الأقوال والكتابات التي تسيء إلى جوهره النقي؛ ما جعله رجل سلام في نظر زعماء قادة العالم في آسيا والعالم الحر، كما كان محل إعجاب

❖ باحث جزائري، مكتب البحوث والابتكار، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

البريد الإلكتروني: youcef.nasser@gmail.com

❖ أستاذ مشارك في قسم القرآن والسنة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا.

البريد الإلكتروني: nirinhos58@yahoo.com

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

زعماء العالم الإسلامي وعلمائه الأفاضل. وفي هذا البحث خلاصة أقواله في الدفاع عن الإسلام تحت قبة برلمان دولة باكستان عام ١٩٥٢م يوم كان رئيساً لوزراء إندونيسيا، علاوة على نقده لكتابات آيكس إنكليس حول الإنسان الحدائثي في مؤتمر دولي بباكستان عام ١٩٧٦م حضره خيرة علماء العالم الإسلامي.

مقدمة

نال محمد ناصر (Mohammad Natsir)^(١) سمعة طيبة منذ خمسينيات القرن الماضي، وعلت شهرته بعد ما ألقى محاضرة تحت قبة برلمان دولة باكستان عام ١٩٥٢م؛ إذ ركّز في هذه المحاضرة التاريخية على الأزمة العالمية التي تهدد السلام العالمي، كما قام بنقد سوء فهم الغرب لرسالة الإسلام، وهاجم محاولاته اليائسة في محاربة المسلمين انطلاقاً من الاستعمار، وعدّ أن مثل هذه السياسات العنصرية والإجرامية تتوجه نحو السيطرة على الموارد الطبيعية في الدول الإسلامية.

رأى محمد ناصر أن الفساد هو من عمل الغرب بخاصة والبشر بعامة، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. كما أكّد على ضرورة الالتزام بالتعاليم الربانية للتغلب على مشاكل البشر، لا سيما أن الرسالة التي جاء بها المصطفى ﷺ ما هي إلا امتداد لما جاء به الأنبياء والرسل من قبله، ومن ثم فإن هناك تواصلًا تاريخيًا

(١) محمد ناصر هو مفكّر وداعية ومصالح إندونيسي مشهور ولد في محافظة سومطرة الغربية في ١٧ يوليو ١٩٠٨م، وتقلّد منصب وزير الإعلام ثم رئيس وزراء في فترة حكم سوكارنو بعد استقلال إندونيسيا في منتصف أربعينيات القرن الماضي.

دفاعاً عن الإسلام الذي أسيء فهمه ... بحث ودراسات

وحضارياً بين الغرب والعالم الإسلامي، نظراً إلى أن الدين الإسلامي يكفل حرية الدين لدى الأفراد، وأن تعاليمه تتماشى مع الطبيعة البشرية، يقول محمد ناصر: "في الحقيقة إن مفهوم الخير في الدين الإسلامي موجود في معظم تعاليم الديانات العالمية. وإن الإسلام يهتم بالسلام والأمن والحرية، كما أن رسالة الإسلام يمكن العمل بها في أي عصر حفظاً للكرامة البشرية"^(١).

قال محمد ناصر إن الأمة الإسلامية التي كانت تتنُّ تحت وطأة الاستعمار الغربي، بدأت في تنظيم شؤونها مهتدية بالقيم الربانية في توجيه مسيرتها الإنمائية والحضارية. كما اعتبر أن الاتحاد الإسلامي الذي الذي نادى به زعماء المسلمين أمثال السيد جمال الدين الأفغاني، يمكن اعتباره من ضمن الوسائل الحكيمة في صدِّ العدوان الخارجي، لا سيما أن الأمة الإسلامية كلما همَّت بالتخطيط لمستقبلها الحر، استقبلها الغرب بالتهديد والوعيد. لقد قام محمد ناصر بالكشف عن أساليب الغرب الماكرة، ووقف يفنِّدها وينقدها حتى لا تكون الأمة الإسلامية ضحية سهلة للاستعمار الجديد.

أولاً: الإسلام الذي أسيء فهمه

يقول محمد ناصر إن الغرب لا يريد لنا أن نخطِّط لمستقبلنا وفقاً لما جاء في رسالتنا؛ إذ كلما أعلنت الدول الإسلامية عن فكرة تنفيذ الحكم الشرعي في مجتمعاتها، بدأ الغرب بالهجوم عليها والإساءة إليها. ويعود ذلك إلى أن الغرب لديه سوء فهم تجاه الإسلام، ويتعامل مع من يطبِّق أحكام الشريعة الإسلامية كمن يقيم دولة ثيوقراطية. وعلى الغرب أن يفهم بأن علماء المسلمين ليسوا رهباناً لا يمارسون وظيفة رسمية في

(١) لقد خطب محمد ناصر أمام أعضاء برلمان باكستان حول "مساهمة الإسلام في السلام العالمي"، وذلك بتاريخ ٩ أبريل ١٩٥٢م؛ ولمزيد التفصيل، انظر: ناصر، محمد، الإسلام أساس الدولة (باللغة الإندونيسية)، ص

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

الحكومة. إن العلماء بدينهم هم وعي الأمة، وهذا ما ينبغي للغرب أن يعيه. وعلى حد رأي محمد ناصر؛ فإن من واجب الدول الإسلامية أن توقف جميع تعاليمها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية على سلطة تميمها، ومن ثم لا وجه للمقارنة بين الدولة الإسلامية التي نريدها لحفظ الحقوق وأداء الواجبات، وبين الدولة الشيوقراطية التي يخافها الغرب ويعدّها من المنكرات والمحرمات.

ففي الخمسينيات من القرن الماضي وجدنا، على حد تعبير محمد ناصر، أن السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي السيد إيمان الله خان (١٩١٢-١٩٩٧م)، قد جاء بمشروع قانون يحد فيه الدول الإسلامية على تنفيذ الحكم الشرعي الذي جاء به الرسول المصطفى ﷺ، وإن مثل هذا عدّ تقنيناً شرعياً بإمكانه التمهيد لأجواء العدالة والرفاهية في المجتمع. ومن ثم يرى محمد ناصر أن من واجب الحكومات الإسلامية أن تتعاون مع علماء المسلمين في توعية العالم بأهمية الحكم الشرعي وعلاقته بتحقيق السعادة البشرية؛ إذ يفترض من علماء المسلمين العمل الجاد على غرس الفهم الصحيح للإسلام في جميع نواحيه بكل الوسائل المشروعة والممكنة.

لقد جاء محمد ناصر بأفكار إنسانية تعمل على تقليص الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب من أجل تحقيق العدل والمساواة بين الأمم والدول؛ إذ يعتبر أن الإسلام هو نفسه السلام حيث يدعو له ويهتم به؛ فقد جاء الإسلام للقضاء على الفوارق العرقية والجنسية والثقافية. كما طالب محمد ناصر زعماء الغرب بالتعامل مع العالم الإسلامي بالحسنى، من منطلق أن تعاليم الديانة النصرانية تدعو هي الأخرى إلى التعايش السلمي. لقد ركّز في جلّ أعماله الفكرية على القيم الدولية بوصفها منجاة للبشرية من أزماتها وحروبها، ويرى أن التوحيد عند المسلمين لا ينحصر في أمور العبادة وحسب، بل يمتد إلى المعاملة الحسنة تجاه المخالفين في الدين.

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

حيث حافظ الإسلام على حقوق الأقلية في ديار المسلمين ومنحها الحرية الكاملة في ممارسة شعائرها الدينية من غير حرج. إن التاريخ يكرّر نفسه؛ فالرسول ﷺ عندما جاء إلى المدينة لم يكره الناس على تغيير دينهم، بل عاش مجاوراً لليهود إلى أن أساءوا لحسن الجوار، ومن ثم أساءوا لأنفسهم وخربوا بيوتهم بأيديهم^(١).

إن الصراع بين العالم الإسلامي والغرب، في نظر محمد ناصر، سببه الجهل وسوء فهم بحقيقة انتشار الإسلام في أنحاء العالم، لا سيما أن الغرب يربط أعمال الإرهاب والإرهابيين في العالم بالإسلام^(٢). وعلى الغرب أن يقرأ كتابه المقدس الذي يدعو إلى التعاون والاحترام وأن يجعله مرجعاً رئيساً في تخطيط سياسته بشكل عادل، كما جاء في كتاب المسلمين: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

شدّد محمد ناصر على أن مفهوم التسامح يشمل التعامل الإيجابي لتعميم العدالة والمساواة على الجميع بغض النظر عن فوارقهم العرقية والدينية. إن الصراع بين الأجناس سببه عدم فهم التعاليم الربانية المنصوص عليها في الكتب المقدسة. وإن مثل هذه التعاليم الربانية الصحيحة التي تربط التسامح بالتعاون ونبذ الخلاف نلفيها، أيضاً، في كتاب المسلمين: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) انظر: ناصر، محمد، الدين والدولة من منظور إسلامي (باللغة الإندونيسية)، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) انظر: ناصر، محمد، الدين والدولة من منظور إسلامي (باللغة الإندونيسية)، ص ١٣٤-١٣٥.

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[الأنفال: ٦١]﴾. كما يرى محمد ناصر أن هناك عنصراً مهماً لا بد على كل واحد منا الالتزام به، وهو السعي الحثيث إلى إجراء مصالحة بين الطرفين تكون قائمة على الاحترام والتراحم؛ لأن الحروب تستنزف الموارد البشرية والطبيعية^(١).

وفي معارك الجهاد التي خاضها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، لم يجبر المهزومين والمستسلمين على اعتناق الدين الإسلامي؛ ما يدل على سماحة الإسلام الذي يمنح الحرية للآخرين المختلفين ما داموا ملتزمين بعهود الجوار والاحترام والسلام المدني. وبعد فتح مكة مثلاً؛ فإن الرسول ﷺ أصدر توجيهات حكيمة بمعاملة الناس بالحسنى. وكذلك وجدنا في فترة الخلفاء الراشدين أن المناطق التي فتحها المسلمون قد شعر أصحابها الحقيقيون بالأمن والاستقرار مقارنةً بحكم الروم والفرس لهم قبل أن يأتي الإسلام. وإن هناك وثائق تاريخية تثبت بالحجة والبراهين أن زعماء النصارى ودعاتهم قد حرّضوا أتباعهم على محاربة أتباع الدين الآخر. ومن الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية التي دامت أكثر من ثلاثة قرون شملت كل ما هو إسلامي؛ وحتى في القرن الخامس عشر الميلادي، قامت دول مثل البرتغال وإسبانيا على تأسيس مملكة الله كما كانوا يزعمون. وبخلاف ما أشرنا إليه من عدوانية النصارى في السلم والحرب؛ فإن الإسلام يوصي أتباعه بإقامة العدل مع المخالفين والمحاربين على سواء، كما قال الله في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اءِدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

لقد نبّه محمد ناصر لأهمية دور هيئة الأمم المتحدة في تقليص الفجوة بين الأعداء المفترضين، وإتاحة فرصة لكل دولة بتقديم اقتراحاتها الإنسانية والدولية فيما يتعلّق

(١) انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة (باللغة الإندونيسية)، ص ٣٢-٣٣.

ثالثاً: جولات محمد ناصر في العالم الإسلامي

الرسالة الإسلامية التي جاء بها المصطفى ﷺ، كما يؤمن محمد ناصر، ليست من قبيل العمل الفلسفي النظري؛ بل جاءت لتطبيقها والعمل بها لتحقيق السلام العالمي. وفي عام ١٩٥٢م، قام محمد ناصر بزيارة مدينة كشمير التي كانت تحت إدارة الحكومة الباكستانية، وفي مدينة لاهور تم اللقاء بينه وبين الزعيم الكبير أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية. وكان أثناء وجوده في باكستان قد وجه له حكام العرب والمسلمين دعوة رسمية لزيارتهم، فقام بزيارة كل من السعودية والعراق وإيران ولبنان وتركيا. وبعد ذلك وجهت له الهند وبورما دعوة لزيارتها والاستفادة من آرائه حول السلام والعدالة^(١).

قام محمد ناصر بزيارة مصر قبل الثورة، وكان خلال لقائه بالملك فاروق قد عبّر عن تقديره وشكره البالغ لوقوف مصر المشرف من استقلال الدولة الإندونيسية من قبضة الاستعمار الهولندي. انتهز الفرصة التاريخية لمقابلة قادة حركة الإخوان المسلمين حيث التقى مع الشيخ حسن الهضيبي. قام أيضاً بزيارة مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني، وبعد ذلك عرّج على تونس والجزائر والمغرب التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي؛ ما جعله يقوم بعد عودته إلى إندونيسيا بتأسيس لجنة التضامن مع تونس والجزائر والمغرب لتحريرها من الاستعمار الفرنسي.

لقد زار المملكة العربية السعودية حيث التقى بالملك فيصل وناقش معه قضايا الأمة الإسلامية. ويبدو أن قيادة محمد ناصر الحكيمة وأفكاره عن السلام العالمي لم تكن

(١) انظر: Puar, (ed.), Muhammad Natsir ٧٠ tahun: Kenang-kenanganKehidupandanPerjuangan ,

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

وبوصفه عضوًا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، طالب محمد ناصر في المؤتمر السنوي المنعقد في مكة المكرمة بتوسيع دائرة نشاطات رابطة العالم الإسلامي، بحيث لا تقتصر على العالم الإسلامي، بل اقترح أن تمنح صفة العضوية غير الرسمية لأعضاء من بلدان غير إسلامية.

حينما قام سوباندريو وزير خارجية إندونيسيا في عهد سوكارنو بزيارة المملكة السعودية، فاتحه الملك فيصل حول سجن محمد ناصر وعبر عن استيائه، وقال له بأن محمد ناصر ليس فقط زعيم الأمة الإسلامية في إندونيسيا وإنما هو زعيم في العالم الإسلامي كله^(١).

إن العطاء الفكري لمحمد ناصر ونشاطاته السياسية والدينية، كانت محل اهتمام زعماء العالم العربي والإسلامي؛ ففي عام ١٩٥٧م، منح حبيب بورقيبة رئيس تونس نيشان الافتخار (NichanIftikhar) لمحمد ناصر تقديرًا لإسهاماته الإنسانية ومساندته لكفاح الشعوب الإفريقية ونيل استقلالها من قبضة الاستعمار الفرنسي. وفي عام ١٩٨٠م حصل محمد ناصر على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال خدمة الإسلام. وفي عام ١٩٩١م، منحت له الجامعة اللبنانية دكتوراه فخرية اعترافًا بإسهاماته الإنسانية وعطاءاته الإسلامية. وقد توجت إنجازات محمد ناصر بأن جاء اسمه ضمن قائمة عظماء العالم الإسلامي المئة في القرن العشرين^(٢).

(١) انظر: Puar, (ed.), Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenanganKehidupandanPerjuangan , p.134.

(٢) انظر: Ismail, Abdul Halim, Bapak Mohammad Natsir: PenuntunUmmatSepanjangJalan. In: d Asri Abdul (eds.), Mohammad Natsir: Berdakwah di Jalur Politikdan Berpolitik di Jalur Dakwah, (Selangor: Wada hPencerdasan Ummatdan Kole j Universiti Islam Antarabangsa, 2009), p.100.

خامساً: محمد ناصر بوصفه ناقداً للحدائثة التي تسيء للإسلام

في عام ١٩٧٦م، زار محمد ناصر باكستان لحضور مؤتمر دولي عن الرسالة النبوية تحت رعاية الحكومة الباكستانية. وكان المؤتمر قد حضره معظم العلماء البارزين في العالم الإسلامي علاوة على بعض المستشرقين. وكان من ضمن العلماء المسلمين الحاضرين: الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام المسجد الحرام، والشيخ عبد الحليم محمود رئيس جامعة الأزهر الشريف، ومفتي لبنان، ومفتي فلسطين. وكانت أوراق المؤتمر تناقش رسالة الإسلام ودورها الإنساني في العصر الحديث.

قام محمد ناصر بتقديم ورقة مهمة استعرض فيها مفهوم الحدائثة بأنه شيء مبهم ونسبي، وهو إن تضمن طموحات فكرية عالمية؛ إلا أنه طموح مادي وعلواني أهدافه ليست بالضرورة إنسانية وأخلاقية^(١). ثم بعد ذلك قام بتقديم تعريف للحدائثة من منظور إسلامي؛ حيث نقد آراء أليكس إنكليس (Alex Inkless) من جامعة هارفارد الأمريكية.

في البدء قام محمد ناصر بتوضيح مفهوم الحدائثة، وشدد على أن الدين الإسلامي مرن ليس ضد أعمال العقل وتنشيط الفكر، ولا يتوقف عند الجمود والتقليد. إن الرسالة التي جاء به المصطفى ﷺ تدعو إلى التبين من الأفكار حتى لو كانت من تراث السابقين، وكذلك فرز الأفكار مهما كانت حدائتها وعقلانيتها؛ حيث استشهد بالآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وإن هذه الآية الكريمة، كما يرى محمد ناصر، تنكر على الذين لا يستخدمون عقولهم في تبصّر الأشياء والحقائق. وإن الرسالة

(١) انظر: Puar (ed.), Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenanganKehidupandanPerjuangan, :

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

التي جاء بها محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين لا تتعارض مع إعمال العقل للوصول إلى الحقيقة بطريقة صحيحة. وقد جاء في القرآن الكريم أن العقل هو من أكبر النعم التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان؛ حيث أشار محمد ناصر إلى ما حدث لقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام كما جاء في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

أكد محمد ناصر بأن الله سبحانه وتعالى خلق العقل في الإنسان للبحث في السنن الإلهية والكونية، فهو يؤدي دوراً مهماً في نجاح الخلافة في الأرض، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وأن الله سبحانه وتعالى قد هيء في هذا العالم كل شيء، وعلى البشر أن يستفيدوا من هذا الوجود بناء على قيم ربانية ضامناً لنجاح العملية الإصلاحية في الإنسان والكون.

لقد حاجج محمد ناصر بأن التنمية الاجتماعية والاقتصادية مسؤولية كل إنسان يخدم الصالح العام ابتغاء لمرضاة الله سبحانه وتعالى. وتعريجاً على آراء الأمريكي إنكليس حول الإنسان الحداثي (Modern Man)، رأى محمد ناصر بأن هناك فرقاً كبيراً بين التصورين الإسلامي والغربي للتنمية والحداثية؛ حيث إن تفعيل التقدم التكنولوجي والعلمي في حياة الناس يكون بناء على مبادئ العدل والتوازن بين الروح والعقل؛ ففي ذلك دافع للإحسان العالمي ومراعاة لمصالح البشرية، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ثم أشار إلى التصور الفكري الذي أحل به إنكليس عن مفهوم التنمية والحداثية بأن تتجاوز جميع العناصر الإقليمية والجغرافية والفوارق العنصرية.

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

أشار محمد ناصر إلى ما قاله إنكليس عن خصائص رجال الحداثة بأن لديهم قدرة وكفاءة في تنظيم الوقت تحقيقاً للإنتاجية. وجاء بمنظور إسلامي لتلك الأنشطة الإنتاجية، ورأى إذا هي لا تحقق السعادة في حياة الناس فإنها تكون عبثية بجهودهم وكرامتهم، لا سيما أن الغرب ينظر إلى الوقت نظرة مادية فيشبهه بالنقود. وقد حاجج محمد ناصر بأن الصلوات الخمس التي فرضها الله سبحانه وتعالى على جميع المسلمين هي دعوة، أيضاً، لتدريب المسلمين على احترام الوقت في ممارسة حياتهم وأعمالهم؛ بحيث كل ذلك يأتي منسجماً مع القيم الربانية في وجهيها الدنيوي والأخروي، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢].

أما عن خصائص الحداثة التي عددها إنكليس والتي أشار فيها إلى خصيصة التنظيم الإداري لحل الأزمات؛ فقد وقف أمامها محمد ناصر، وعدَّ الإحسان - كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية - من أعلى مراتب التنظيم. إن مفهوم الإحسان في الإسلام لا ينحصر في الإعانات والصدقات ومساعدة المحتاجين، وإنما يشمل جميع النشاطات المادية بما فيها التنظيم الإداري. وإذ يقوم الشخص بأعماله على وجه حسن مقبول ومعقول؛ فإن النتائج تكون من عند الله سبحانه وتعالى، وقد استدل بها قاله المصطفى ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحدَّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته"^(١).

رداً على ما قاله إنكليس بأن الإنسان الحدائثي لديه قدرة فائقة على تسخير الكون لأجل التنمية والتقدم، عقب محمد ناصر بأن الإنسان عاجز عن استعمال كل طاقته

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الصيد والذباح، باب الأمر بإحسان الذبح وحد الشفرة، رقم ١٩٥٥.

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

ونظرية الفكر الغربي كما جاءت في كتابات إنكليس التي تدّعي أن التفكير العقلي بمفرده يتحكّم في أشياء العالم ويسيطر عليها، حيث يراه محمد ناصر أمراً مستحيلًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو واهب العقل للإنسان، وعلى هذا الإنسان القوي بخالقه والسليم بعقله أن يستخدم تفكيره على وجه صحيح، علمًا أن ما يبدعه الإنسان بعقله وتفكيره، هو سابق عند الله وعلى علم به؛ إذ إن الله هو الخبير العليم^(١).

كما يربط محمد ناصر الإنسان الحدائني عند إنكليس بمبادئ الاحترام وكرامة الإنسان، وإذا كان يرفض هذا الإنسان أخاه الإنسان فهو ليس إنسانًا حديثًا. وإن مثل هذا الإنسان المتنور في نظر محمد ناصر، يقف على فكرة الخير، وقد بشر به الإسلام منذ خمسة عشر قرنًا من الزمن. إن مبادئ المساواة والعدالة وكرامة الإنسان تشكّل نواة الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، بحيث لا يمكن مقارنتها مع وثيقة هيئة الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ م.

وإذ ربط إنكليس الحدائنة بالتقدم العلمي والتقني، فقد أكّد محمد ناصر على أن التقدم التكنولوجي الذي حقّقه البشرية لا يمكن فصله عن إسهامات خبراء المسلمين القدامى، علاوة على العقول المهاجرة منها، وتأسّف للتقدم التكنولوجي الحديث الذي لم يأخذ بالحسبان عامل الأخلاق والقيم نتيجة تأثره بالنظريات الغربية العلمانية. ولهذا يرى محمد ناصر بأن هناك حاجة ماسّة إلى صياغة نظرية علمية تقف على التوجيهات الربانية وتأخذ بها كما أخذ بها المسلمون المبدعون الأوائل. ومع هذا، يقول محمد ناصر، نحن بحاجة إلى الجهد المتواصل لتحقيق التقدم العلمي في جميع المجالات الإنسانية؛ حيث أشار

(١) انظر: Puar (ed.), Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupandan Perjuangan, :

رابعاً: إن التقدم المادي أو العلمي من غير الاهتداء بالتعاليم الربانية، نراه يتوجه بالبشرية نحو انهيار أخلاقها وتشويه إنسانيتها وتعكير حياتها.

خامساً: إن الدين الإسلامي الذي جاء به المصطفى ﷺ، سبق وأن أرسى قواعد أفضل حياة أفضل تنشُد الأمن والسلام والتضاييف والاحترام والتراحم. وبالتأكيد نحن المسلمون لا نرفض التقدم المادي في ظل البيت العالمي الذي يجمعنا ويحدّد مصيرنا؛ إلا أن علمنا في مأزق إنساني وروحي، ومن ثم هو بحاجة ماسّة إلى قيم ربانية عسى أن يقتدي بها الإنسان في نهاره ويهتدي بها في ظلامه لتحقيق المزيد من التعايش السلمي والعدالة الاقتصادية. ومن أسفٍ إن الحقائق التي أمامنا، وبين يدي العالم، تكاد تصرخ بأن الثورة الصناعية وليدة فكر الحدّاث، قد وسّعت الفجوة بين الفقراء والأثرياء على صعيد المستويات الفردية والاجتماعية والدولية. وإن الإنسان الحدّاثي الذي يشّر به إنكليس هو إنسان به خواء روحي، ونراه يشكّل خطراً على البشرية في النواحي العسكرية والاقتصادية. لقد أشار محمد ناصر إلى أن الإنسان الذي يستبعد القيم الربانية لا يمكن أن يكون قوياً في مجاله، وأن المسلم غير مطالب بالاعتداء به أو سلوك مسلكه، واستشهد بقوله تعالى: ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

لقد اهتمّت نخبة باكستان بأفكار محمد ناصر التي تصدّت للفكر الحدّاثي وفنّده، كما احتضنتها الصحف والمجلات الباكستانية التي أبرزت أصالة فكر محمد ناصر وأثنت على نباهة عقله وقوّة ذكائه واتقاد ذهنه. وفي الجانب العربي كانت أفكار محمد ناصر الراصدة والناقدة محلّ إعجاب كبير من علماء عرب مسلمين بارزين أمثال الدكتور عبد الحلّيم محمود شيخ الأزهر الشريف، والشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام

وحدة الأمة - العدد الرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م ————— ❁ ————— ناصر يوسف وسوهرين محمد صالحين

نقدها وفنّدها، وبعد ذلك راح يحذّر الجيل المسلم من الاغترار بمبادئها؛ فيما في الإسلام سابق غير مسبوق، ومن الأولى أن ننبش في أوراقه وننكش في أعماقه، عسى أن نجترح منه النموذج الحضاري البديل؛ فلا نكون أمة ذبيحة ولا دولة جريحة.

إن مثل هذه المواقف الدينية والسياسية التي اشتهر بها محمد ناصر، جعلت شخصيته العلمية والعملية محل إعجاب قادة العالم الإسلامي وزعمائه، كما كان محل إجماع لدى معظم العلماء المسلمين في عصره، وذلك نظرًا إلى التميز الفكري والسياسي والقيادي الذي كان ينفرد به محمد ناصر عن أقرانه؛ إذ ظل موضع تقدير واحترام كبيرين في المجتمع الإندونيسي بخاصة والعالم الإسلامي بعامة.

وإذ استعرضنا مواقف محمد ناصر الدينية ووقفاته السياسية التي نالت استحسان زعماء العالم الإسلامي وعلمائه؛ فإننا توصلنا إلى نتائج مشفوعة بتوصيات، هي على النحو الآتي:

النتائج

- ١- هناك وعي معقول ومسؤول لدى محمد ناصر بأهمية الإسلام بوصفه بديلاً حضارياً لإزاحة الإرث الاستعماري؛ هذا البديل الحضاري الذي بإمكانه تعزيز وحدة الأمة الإسلامية في سلطتها ونخبها وعامتها.
- ٢- توظيف محمد ناصر لمكانته السياسية والدينية في خدمة الإسلام والمسلمين، والدفاع عن قضايا المسلمين العادلة؛ ما يعني أن الدين والسياسة أمران مشروران بالطبع، وليس كما يُعتقد أنها ممنوعان من الجمع.

